



27 مايو 2012

كثيرة هي تلك المشكلات التي يتعرض لها كلا الزوجين، خاصةً في بداية حياتهما حتى يستطيع كل طرف فهم الآخر والاعتقاد على طباعه وتفهم شخصيته، ويكون قادرًا على تحليل سلوكه ومعرفة دوافعه تجاه أي تصرفٍ ربما يرفضه منه.

وهذا الفهم المطلوب لا يحدث هكذا اعتباطًا، وإنما وراءه جهد جهيد ومحاولات عدة للتحدث والاستماع إلى الطرف الآخر حتى يصل لما يريد من معرفة تساعد كلاهما على اجتياز أي مشكلات طارئة بينهما قد تحدث مستقبلاً.

ولأنني أحب بنات جنسي ودائمًا انحاز إليهن خوفًا عليهن من غضب الجبار أولاً ثم رغبة أكيدة مني في أن تنال كل واحدة حظها من السعادة في بيتها بالحب والتفاهم والدفء والعطاء غير المشروط، فقد أثرتها بالكلام والنصح بحثًا عن حَقِّها المهضوم والذي خدعها بالمطالبة به كثيرًا، بينما هي في الحقيقة لم تكن تطلب سوى ضياعها كامرأة وحقها كإنسانة كاملة الإنسانية لها مهمة خلقها الله من أجلها وفضلها بها على الرجال.

تدعوها باسم الحقوق وما هي إلا مهاترات كي يستمتعوا بها كدمية وسلعة يتكسبون من ورائها.

أثرت أن أوجه حديثي إلى المرأة على اعتبار أنها مخلوق رائع، خلقه الله عز وجل كي يقوم بأسمى وظيفة على الأرض، تتعامل مع هذه الوظيفة السامية مع البشر، مع النفوس الإنسانية كي تدفعها وتقومها وتحافظ عليها، كي تقوم تلك النفوس التي أعدتها المرأة إعدادًا مناسبًا كي تبني وتعمر الأرض وتبني الحضارات، وعلى قدر ما تبذله المرأة من جهدٍ في عملية التربية والعطاء بقدر ما تتقدم البشرية وتنهض.

عن أسماء بنت يزيد الأنصارية أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت بأبي أنت وأمي إني وافدة النساء إليك واعلم- نفسي لك الغداء- أما إنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا في غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأبي، إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء فأمنًا بك وبالإهك الذي أرسلك، وأنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم وحاملات أولادكم، وأنكم معاشر الرجال فُضلتُم علينا بالجمع والجماعات، وعبادة المرض وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك كله الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجًا أو معتمرًا ومرابطًا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أنوابكم، وربينا لكم أولادكم فما نشارككم في الأجر.

قال: فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتيها في أمر دينها من هذه؟

فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا.

فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها ثم قال لها "انصرفي أيتها المرأة واعلمي من خلقك من النساء أن حسن تبعك إحداهن لزوجها وطلبها مرضانه واتباعها موافقته تعدل ذلك كله". قال: فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً".

والحديث وإن كان به ضعف فقد قوته أحاديث أخرى صحيحة تحدد هوية المرأة ووظيفتها في الحياة، وحتى لا يؤخذ علمي ويُفهم من كلامي ما لم أقصده من الحجر على المرأة في تقلد المناصب والمهام وتلقى أعلى درجات العلم والعمل العام في الوقت الذي يحتاج إليها الوطن فيه في حمل مشروعات النهضة والبناء والتقدم أعدد كلامي في إطار الوظيفة الأساسية والهوية الحقيقية التي تتناسب مع الفطرة الإنسانية التي خلقها الله عليها.

وهذا لا ينبغي أبدًا أن تقوم المرأة بالدور المطلوب منها خارج بيتها ودخله طالما المجتمع في حاجة إلى مجهودها والإسلام في حاجة إلى جهادها شرط أن تحاول التوفيق والتوازن بين كل ما هو مطلوب منها في حياتها.

وحقك يا أختي لأنني أحبك وأميل إليك بطبيعة أنني مثلك، حقك وليس واجبك هو أن تسعدي زوجك على اعتبار أنه عبادة تتقربين بها إلى الله، إذا عدنا إلى الحديث الشريف "حسن تبعك إحداهن لزوجها تعدل ذلك كله". حسن التبعك يعدل صلاة الجماعة في المسجد كل فريضة، يعدل حضور الجمع، يعدل زيارة المريض، يعدل الجهاد في سبيل الله، يعدل جملة كل ما سبق، فالمرأة الواعية هي في محراب عبادة مفتوح في بيتها ليل نهار، تسقي الحب وتستقيه، تعطي الدفء وتعيشه، تدفع للخير وتفعله، تنتظر الزوج المهموم لتحمل عنه بنظرة حانية ولمسة دافئة وقلب مفتوح وعقل وإع يعرف متى تقترب ومتى تبتعد.

إذا مرض فهي الأم الحانية الساهرة، وإذا غاب فهي المحبة الملهوفة، وإذا اقترب فهي الصديقة والحبيبة، وإذا غضب فهي التي لا تهدأ ولا تنام إلا إذا رضي، حتى لو كان لها الحق، إنه رضا الله، إنها الجنة التي تبتغيها، إنه ثمن ضئيل في سبيل أجر عظيم وسلعة غالية "ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة".

فإذا كان لا يستحق فأنت تستحقين، تستحقين الجنة ورضا ربك بمحراب عبادة فتحه الله لك بلا حساب وبلا شروط وبأجر مفتوح يعادل كل عبادات الرجال، محراب بيت يسكنه زوج هو جنتك أو نارك.